مختصر ابن كثير

17 - فلم تقتلوهم ولكن ا قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن ا رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن ا سميع عليم .

- 18 - ذلكم وأن ا موهن كيد الكافرين .

يبين تعالى أنه خالق أفعال العباد وأنه المحمود على جميع ما صدر منهم من خير لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم عليه ولهذا قال : { فلم تقتلوهم ولكن ا قتلهم } أي ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعدائكم مع كثرة عددهم وقله عددكم بل هو الذي أظفركم عليهم كما قال : { ولقد نصركم ا ببدر وأنتم أذلة } الآية وقال تعالى : { لقد نصركم ا في مواطن كثيرة ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً } يعلم تبارك وتعالى أن النصر ليس بكثرة العدد والعدد وإنما النصر من عنده تعالى كما قال تعالى : { كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن ا و ا مع الصابرين } ثم قال تعالى لنبيه صلى ا عليه وسلّم أيضاً في شأن القبضة من التراب التي حصب بها وجوه الكافرين يوم بدر { وما رميت إذ رميت ولكن ا رمى } أي هو الذي بلغ ذلك إليهم وكتبهم بها لا أنت قال ابن عباس : رفع رسول ا صلى ا عليه وسلّم يديه يعني يوم بدر فقال : " يا رب إن تهلك هذه العصاة فلن تعبد في الأرض أبدا " فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب فارم بها في وجوههم فإخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخره وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين . وقال محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي : لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول ا صلى ا عليه وسلّم قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال : " شأهت الوجوه " فدخلت في أعينهم كلهم وأقبل أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقتلونهم ويأسرونهم وكانت هزيمتهم في رمية رسول ا صلى ا عليه وسلّم فأنزل ا : { وما رميت إذ رميت ولكن ا رمى } . وقال عروة بن الزبير في قوله : { وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا } أي ليعرف المؤمنين نعمته عليهم من إظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم وقله عددهم ليعرفوا بذلك حقه ويشكروا بذلك نعمته { إن ا سميع عليم } أي سميع الدعاء { عليم } بمن يستحق النصر والغلب وقوله : { ذلكم وأن ا موهن كيد الكافرين } هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر أنه أعلمهم تعالى بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل مصغر أمرهم وأنهم كل ما لهم في تبار ودمار